ربَّ قولٍ أشدَّ مِنْ صَوْل

"أكثم بن صيفي"

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا**﴾، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القائل: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخَرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛

لعل ما يميز هذا العصر تلك الثورة الكبرى في الإعلام والاتصالات، فغدا العالم قرية صغيرة متداخلة متشابكة فما يجري في أقصى العالم يطلع عليه من في سائره، ولم تعد بقعة في العالم بمنأى عما يحدث في باقيه، ومن منا يستطيع إغفال ما للإعلام من تأثير في توجيه الأفكار والأخلاق والسلوك وإيجاد الثقافات؟! بل إن كثيرًا من حروب العالم اليوم ساعد في تأجيجها الإعلام، والمتأمل فيما تبثه كثير من وسائل الإعلام ومواقع التواصل يدرك بما لا يدع مجالاً للشك أن من ورائها علماء نفس واجتماع وسياسة واقتصاديين وعسكريين.

فانظر مثلاً لانتصارات المجاهدين كيف يتم تقزيمها وتشويهها، وانظر لانتصارات أعدائهم كيف يتم تضخيمها وترويجها، ويقع المتابعون للإعلام ضحايا هذه الأراجيف والأكاذيب. بل لقد استُعْمِلَ الإعلام في بث الشائعات التي لا أصل لها بغية الوصول لتحطيم معنويات الناس وهز الثقة في نفوسهم وحرفهم وصرفهم عن أهدافهم، وما أكذوبة جهاد النكاح عنا ببعيد.

لقد صار الإعلام قنابل نفسية ومعنوية تفعل ما لا تفعله كثير من القنابل الفتاكة، ومن المعلوم أن الحروب النفسية صارت تفعل فعلها في توهين عزائم الناس، فكم قلب الإعلام من حقائق؟! وكم زيَّف من وقائع بأخبار وتحليلات لا أصل لها؟! ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**﴾.

ومع تنوع وسائل الإعلام والتواصل بمختلف أشكالها ومع ضعف الوازع الديني والأخلاقي وهزال بعض العقول وتلوث كثير من الأفكار صار لزامًا علينا أن نرجع لبيان الله تعالى، وبيان رسوله صلى الله عليه وسلم لنسترشد بما فيهما.

لقد نظر الإسلام إلى ما يقوله الإنسان وما قد يخطه بنانه فضبط ذلك بضوابط الشرع والأخلاق والحلال والحرام فقال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**﴾ إن المؤمن كيّسٌ فَطِن لا يَهْرِفُ بما لا يعرف، بل يتبصر ويتأمل ما قد تحدثه كلماته من خير أو شر.

لقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطورةَ الكلمةِ غير المحسوبة فقال: «**وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**» رواه البخاري. وفي حديث معاذ قال: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**» رواه الترمذي.

إن الكلمة سلاح خطير ذو حدين؛ فإما أن تبني وإما أن تهدم، فإن كانت صادقة هادفة أدت للخير، وإن كانت كاذبة حاقدة أدت للشر، فبكلمة تدخل في عداد المؤمنين وبكلمة تصبح من الكافرين.

لقد كانت دعوات الأنبياء والرسل كلامًا، لكنه كلام يبني التصور ويوجه الفكر ويحرك الوجدان ويحدد المواقف ويدفع للسلوك.. انظر لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**» رواه البخاري ومسلم، وانظره وهو يقول: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**» رواه أبو داود، وهو يقول: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**» رواه البخاري ومسلم.

لقد أمرنا الله أن نتنبه لما تطلقه ألسنتنا فقال: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾.

إن الحروب التي تدور رحاها اليوم جزء منها كلامي مقروء، وجزء منها مرئي ومسموع؛ وهذا يوجب على العاقل ألا ينساق وراء كل كلام دون تثبت أو تحقق، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**» رواه مسلم. وقد وضع العلماء لنقل الكلام قاعدة تقول: "إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدعيًا فالدليل".

إن مما يذم ويعاب على المسلم بشكل عام والمجاهد بشكل خاص أن يخوض فيما يعلم وفيما لا يعلم، ويتحدث فيما يتصور وما لا يتصور.

إن من الخطأ أن ينقل المسلم الأراجيف والإشاعات ويجعل من الكبير صغيرًا ومن الصغير كبيرًا. ومن الإرجاف أن يشيع المرء وينشر ويذيع كل ما يصله دون تثبت والله يقول: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ وفي قراءة: ﴿**فَتَثَبَّتُوا**﴾. إن سبب التثبت من الكلام قبل نقله هو خطورة الكلام، فكم من حرب سعرتها كلمة؟! وكم من أسرة تهدمت أسسها بسبب كلمة؟! وكم أثارت الكلمات غير المسؤولة من أحقاد؟! وكم أقضت من مضجع؟! وكم هتكت من سِتْر؟! وما حادثة الإفك التي قصها القرآن إلا تأكيد لما نقول.

إن الكلمة أمانة ومن أمانتها أن تنقلها نقلاً صحيحًا فقد قال صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ, أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَأْتِيَ بِالْمَخْرَجِ مِمَّا قَالَ**» رواه أحمد وأبو داود.

ومن أمانة الكلمة عدم كتمانها بل التصريح بها، بل لقد عدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك جزءًا من الجهاد فقال: «**أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**» رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجة، وقال عمر رضي الله عنه: "لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها". وليس معنى البوح بالرأي والصدع بالحق أن ننهش بأعراض الناس بدافع الغل

والحقد، بل أن يغلف الصدع بالحق بغلاف النصيحة فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشًا ولا بذيئًا وقال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» رواه البخاري ومسلم.

ما أجمل بيان الله عندما وصف الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة فقال: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ** (24) **تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** (25) **وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ** (26)﴾ فالكلمة الطيبة هي كلمة التوحيد، والكلمة الخبيثة هي كلمة الشرك، فلتكن كلماتنا طيبة، ولنبتعد عن الكلمات الخبيثة كما قال الإمام الشافعي رحمه الله: "اكس ألفاظك أحسنها".

اللهم اهدنا لمحاسن الأقوال والأفعال لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

والحمد لله رب العالمين